فتخافون فتبخلون قوله عم فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله كلام شريف عال على كلام الحكماء
يقول ان بينها قدرا مشتركا وان كانت غرائز وطبايع مختلفة وذلك القدر المشترك هو سوء الظن بالله لان الجبان
يقول في نفسه ان اقدمت قتلت والبخيل يقول ان سمحت وانفقت افتقرت والحريص يقول ان لم احد واجتهد وادأب
فاتني ما اروم وكل هذه الامور ترجع الى سوء الظن بالله ولو حسن ظن الانسان بالله وكان يقينه صادقا لعلم ان
الاجل مقدر والرزق مقدر وان الغنا والفقر مقدر وانه لا يكون من ذلك الا ما قضى الله تعالى كونه **الاصل** شر
وزرائك من كان قبلك للاشرار وزيرا ومن شركهم في الاثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان
الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل ارائهم ونفاذهم وليس عليه مثل اصارهم واوزارهم ممن لم يعاون
ظالما على ظلمه ولا اثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤنة واحسن لك معونة واحنى عليك واقل لغيرك الفا
فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن اثرهم عندك اقولهم لك بمر الحق واقلهم مساعدة فيما يكون
منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع **الشرح** نهاه عم ان لا يتخذ بطانة قد كانوا بطانة من قبل
للظلمة وذلك لان الظلم وتحسينه قد صار ملكة في انفسهم فبعيد ان يمكنهم الخلو منها اذ قد صارت كالخلق
اللازم لتكرارها وصيرورتها عادة فقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم
وتحريم الاستعانة بهم فان من استعان بهم كان معينا لهم قال تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا وقال لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وجاء في الخبر المرفوع ينادي يوم القيمة اين من برى لهم قلما
اتي الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له ما تقول في الحجاج قال وما عسيت ان اقول فيه هل هو الا خطئة من
خطاياك وشرر من نارك فلعنك الله ولعن الحجاج معك واقبل يشتمهما فالتفت الوليد الى عمر بن عبد العزيز فقال
ما تقول في هذا قال ما اقول فيه هذا رجل يشتمكم فاما ان تشتموه كما شتمكم واما ان تعفوا عنه فغضب الوليد وقال لعمر
ما اظنك الا خارجيا فقال عمر وما اظنك الا مجنونا وقام فخرج مغضبا ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد
فقال له ما دعاك الى ما كلمت به امير المؤمنين لقد ضربت بيدي الى قائم سيفي انتظر متى يامرني والسلام **الاصل** والصق
باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعل فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني
من الغرة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة والزم
كلا منهم ما الزم نفسه **الشرح** والصق باهل الورع كلمة فصيحة يقول اجعلهم خاصتك وخلصاءك ثم قال رضهم على ان لا
يطروك اي عودهم ان لا يمدحوك في وجهك ولا يبجحوك بباطل لا يجعلوك ممن يبجح اي يفخر بباطل لم يفعله كما يبجح اصحاب
الامراء الامراء بان يقولوا لهم ما رأينا اعدل منكم ولا اسمح ولا حمى هذا الثغر امير اشد باسا منكم ونحو ذلك وقد جاء في
الخبر احثوا في وجوه المداحين التراب وقال عبد الملك لمن قام يسايره ما تريد ان تمدحني وتصفني انا اعلم
بنفسي منك وقام خالد بن عبد الله القسري الى عمر بن عبد العزيز يوم بيعته فقال يا امير المؤمنين من كانت الخلافة
زانته فقد زينتها ومن كانت شرفته فقد شرفتها فانك لكما قال القائل واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن
وجهك زينا فقال عمر بن عبد العزيز لقد اعطي صاحبكم هذا مقولا وحرم معقولا وامره ان يجلس ولما عقد معاوية البيعة
لابنه يزيد قام الناس يخطبون فقال معوية لعمرو بن سعيد الاشدق قم فاخطب يا ابا امية فقام فقال اما بعد فان يزيد
ابن امير المؤمنين امل تاملونه واجل تامنونه ان افتقرتم الى حلمه وسعكم وان احتجتم الى رأيه ارشدكم وان اجتديتم
ذات يده اغناكم وشملكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فمجد وقورع فقرع وهو خلف امير المؤمنين ولا خلف منه فقال
معوية اوسعت يا ابا امية اجلس فانما اردنا بعض هذا واثنى رجل على علي عم في وجهه ثناء اوسع فيه وكان عنده متهما
فقال له انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك وقال ابن عباس لعتبة بن ابي سفيان وقد اثنى عليه فاكثر رويدا فقد
امهيت يا ابا الوليد يعني بالغت يقال امهى حافر البئر اذا استقصى حفرها فاما قوله عم ولا تكونن المحسن والمسيء عندك
بمنزلة سواء فقد اخذه الصابي فقال واذا لم يكن للمحسن ما يرفعه وللمسيء ما يضعه زهد المحسن في الاحسان واستمر المسيء

على الطغيان

على الطغيان وقال ابو الطيب شر البلاد بلاد لا صديق بها وشر ما يكسب الانسان ما يصم وشر ما قبضته راحتي قنص
شهب البزاة سواء فيه والرخم وكان يقال قضاء حق المحسن ادب للمسيء وعقوبة المسيء جزاء للمحسن **الاصل** واعلم انه
ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عنهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له
قبلهم فليكن منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن
ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه
الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن
سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة
ما استقام به الناس قبلك **الشرح** خلاصة صدر هذا الفصل ان من احسن اليك حسن ظنه فيك ومن اساء اليك
استوحش منك وذلك لانك اذا احسنت الى انسان وتكرر منك ذلك الاحسان تبع ذلك اعتقادك انه قد احبك ثم
يتبع ذلك الاعتقاد امر اخر وهو انك تحبه لان الانسان مجبول على ان يحب من يحبه واذا احببته سكنت اليه وحسن ظنك
فيه وبالعكس من ذلك اذا اسأت الى زيد لانك اذا اسأت اليه وتكررت الاساءة تبع ذلك اعتقادك انه قد ابغضك
ثم يتبع ذلك الاعتقاد امر اخر وهو ان تبغضه انت واذا ابغضته انقبضت منه واستوحشت وساء ظنك به قال المنصور
للربيع سلني لنفسك قال يا امير المؤمنين ملأت يدي فلم يبق عندي موضع للمسألة قال سلني لولدك قال اسألك ان تحبه
فقال المنصور يا ربيع ان الحب لا يسال وانما هو امر تقتضيه الاسباب قال يا امير المؤمنين انما اسألك ان تزداد من احسانك
اليه فاذا تكرر احبك واذا احبك احببته فاستحسن المنصور ذلك ثم نهاه عن نقض السنن الصالحة التي قد عمل بها
من قبله من صالحي الامراء فيكون الوزر عليه بما نقض والاجر لاولئك بما اسسوا ثم امره بمطارحة العلماء والحكماء
في مصالح عمله فان المشورة بركة ومن استشار فقد اضاف عقلا اخر الى عقله ومما جاء في معنى الاول قال رجل لاياس
ابن معاوية من احب الناس اليك قال الذين يعطوني قال ثم من قال الذين اعطيهم وقال رجل لهشام بن عبد الملك ان
الله جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فاعني على حبك ولا تعني على بغضك **الاصل** واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح
بعضها الا ببعض ولا غنا ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل
ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات
ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضة في كتابه او سنة
نبيه عهدا منه محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية
الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما اصلحهم
ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون
من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات
فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونه من الترفق بايديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة
السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه
الشرح قالت الحكماء الانسان مدني بالطبع ومعناه انه خلق خلقة لا بد معها من ان يكون منضما الى اشخاص من بني جنسه
ومتمدنا في مكان بعينه وليس المراد بالمتمدن ساكن المدينة ذات السور والسوق بل لا بد ان يقيم في موضع ما مع قوم
من البشر وذلك لان الانسان مضطر الى ما ياكله ويشربه ليقيم صورته ومضطر الى الحيوانات وليكون منها الالة
ليتمكن من التصرف والحركة عليه ومعلوم ان الانسان وحده لا يستقل بالامور التي عددناها بل لا بد من جماعة يحرث
بعضهم لغيره الحرث وذلك لغيره يحوك له الثوب وذلك الحائك يبني له غيره المسكن وذلك البناء يحمل له غيره
الماء وذلك السقاء يكفيه غيره تحصيل الالة التي يطحن بها الحب ويعجن بها الدقيق ويخبز بها العجين وذلك المحصل لهذه الاشياء
يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجة التي يدعو اليها داعية الشبق فيحصل مساعدة بعض الناس لبعض لولا ذلك لما قامت

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)